محاضرات فيديو لاهوتيّة

الوحدة: الوصايا العشر

المحاضرة ٢:

البند ١ – الله الآب والخلق

مُقدّم المحاضرة: القسّ كورنيلس هارينك

The John Knox Institute
of Higher Education

إسناد ميراثنا المُصلَح إلى الكنيسة في جميع أنحاء العالم

كليّة جون نوكس للتعليم العالي

إسناد ميراثنا المُصلَح إلى الكنيسة في جميع أنحاء العالم

© ٢٠٢١ من خلال كليّة جون نوكس للتعليم العالي

كلّ الحقوق محفوظة. لا يجوز إعادة إنتاج أيّ جزء من هذه المحاضرات بأيّ شكل من الأشكال أو بأيّ وسيلة لتحقيق الربح، باستثناء استخدام اقتباسات مُختصرة لأغراض المراجعة أو التعليق أو المنح الدراسيّة، من دون الحصول على إذن خطّي من الناشر: كليّة جون نوكس، ص. ب. ١٩٣٩٨، كالامازو، ميشيغان ٤٩٠١٩-١٩٣٩٨، الولايات المتّحدة الأمريكيّة.

جميع اقتباسات النصوص الكتابيّة مأخوذة من ترجمة البستاني – فاندايك، ما لم تتمّ الإشارة إلى خلاف ذلك.

الرجاء زيارة موقنا: *www.johnknoxinstitute.org*

القسّ كورنيلس هارينك هو خادم فخريّ في كنيسة Gereformeerde Gemeente في هولندا.

www.gergeminfo.nl

وحدة

قانون إيمان الرسل

١٣ محاضرة

مقدّم المحاضرة: القسّ كورنيليس هارينك

١. المقدّمة

٢. البند ١ – الله الآب والخلق

٣. البند ٢ – الرب يسوع المسيح، ابن الله الوحيد

٤. البند ٣ – الحَبَل وولادة المُخلّص العُذريّة

٥. البند ٤ – المسيح المتألّم

٦. البند ٥ – قيامة المسيح

٧. البند ٦ – تمجيد المسيح

٨. البند ٧ – المسيح كديّان الأحياء والأموات

٩. البند ٨ – الله الروح القدس

١٠. البند ٩ – كنيسة المسيح الجامعة

١١. البند ١٠ – مغفرة الخطايا

١٢. البند ١١ – قيامة الجسد

١٣. البند ١٢ – الحياة الأبديّة

قانون إيمان الرسل

القسّ كورنيلس هارينك

المحاضرة ٢:

البند ١: الله الآب والخلق

عزيزي المستمع، المادّة الأولى من قانون إيمان الرسل تعترف بما يلي: "أومن بالله الآب ضابط الكلّ، خالق السماء والأرض." يبدأ قانون إيمان الرسل بكلمة: "أومن." هو لا يبدأ بكلمة: "أفهمُ، لذلك أؤمن." يقول المسيحيّ: "أؤمنُ، لذلك أفهمُ." الإيمان يأتي أوّلًا، ثمّ الفهم. يقول داود: "آمَنْتُ لِذَلِكَ تَكَلَّمْتُ" (المزمور ١١٦: ١٠). كم أنّ هذا يتناقض مع ثقافتِنا الحديثة! لا يؤمنُ الإنسان الحديث إلّا بما يمكنُه إثباته، وبالتالي هو لا يفهم إلّا القليل. ومع ذلك، الإيمان يَفهم ما لا يفهمُه المنطق، لأنّه يؤمن بكلمةِ الله. لذلك، يقول داود: "وَصِيَّتُكَ جَعَلَتْنِي أَحْكَمَ مِنْ أَعْدَائِي. أَكْثَرَ مِنْ كُلِّ مُعَلِّمِيَّ تَعَقَّلْتُ، لِأَنَّ شَهَادَاتِكَ هِيَ لَهَجِي" (المزمور ١١٩). الإيمان يفهم ما يستمرّ العلماء بمناقشته، أي كيف جاء العالم إلى الوجود. كما نقرأ في عبرانيين ١١: ٣: "بِٱلْإِيمَانِ نَفْهَمُ أَنَّ ٱلْعَالَمِينَ أُتْقِنَتْ بِكَلِمَةِ ٱللهِ، حَتَّى لَمْ يَتَكَوَّنْ مَا يُرَى مِمَّا هُوَ ظَاهِرٌ."

لا يعتمد قانون إيمان الرسل على المنطق ولا يهتمّ بالآراء أو المفاهيم. يقول: "أؤمن!" إنّ ما يؤمن به المسيحيّ على أساس الكتاب المقدّس هو النقطة المحوريّة. ويعلن قانون إيمان الرسل: "أؤمن بالله." يؤمن المسيحي بوجود الله، الإله الواحد فقط، خالق السماء والأرض. ولا يقول قانون الإيمان: "أستطيع أنْ أثبت وجودَ الله"، أو "أستطيع أنْ أدركَ الله"، بل يقول: "أؤمن بالله." فكيف يمكن للمسيحيّ أنْ يكونَ على يقين من الله ووجودِه؟ ليس لأنّه يستطيع إثبات وجوده، بل لأنّ الله كشف عن نفسه في كلمته وفي الخلق. لذلك يضيف: "خالق السماء والأرض."

عندما كان بولس في أثينا مُحاطًا بالفلاسفة اليونانيّين، بشّرهم بالله. بدأ بكلام صاعق. قال لهم: "ٱلْإِلَهُ ٱلَّذِي خَلَقَ

ٱلْعَالَمَ وَكُلَّ مَا فِيهِ، هَذَا، إِذْ هُوَ رَبُّ ٱلسَّمَاءِ وَٱلْأَرْضِ، لَا يَسْكُنُ فِي هَيَاكِلَ مَصْنُوعَةٍ بِٱلْأَيَادِي، وَلَا يُخْدَمُ بِأَيَادِي ٱلنَّاسِ كَأَنَّهُ مُحْتَاجٌ إِلَى شَيْءٍ، إِذْ هُوَ يُعْطِي ٱلْجَمِيعَ حَيَاةً وَنَفْسًا وَكُلَّ شَيْءٍ." تحدّى بولس عقيدَتَهم بالكامل. كان اليونانيّون والرومان يؤمنون بآلهة كثيرة. كانوا يؤمنون بتعدّد الآلهة. لكنّ بولس لم يتحدّث عن آلهة، بل عن الله: الإله الوحيد الحقيقيّ. الله الخالق غير المخلوق، الذي يسود على كلّ شِبر ممّا صنعه ولا يستمدّ حياتَه من البشر. كان اليونانيّون يعتقدون أن الآلهة تحتاج، وبمعنى ما، تعتمد على تضحيات البشر. لكنّ بولس لم يتحدّث عن إله يعتمد على البشر. بل على العكس من ذلك، تحدّث عن إله يُعطي الجميع الحياةَ والنَفَسَ وكلَّ شيء. تحدّث عن الله الواهب الحياة والمحافظ عليها، والذي هو موجود فوق كلّ ما هو مخلوق. إنّه الله الموجود بذاته، الخالق العظيم للسماء والأرض. وسط الفلاسفة اليونانيّين المتعلّمين، لم يبدأ بولس رسالتَه التبشيريّة بالحديث عن المسيح، بل بالحديث عن الله الخالق. كانت نقطة انطلاق بولس هي الله: الإله الحقيقيّ. الله خالق السماء والأرض. اعتبر الرسول أنّه من المهمّ أنْ يكون لمستمعيه معرفة صحيحة بالله: الله المختلف تمامًا عمّا اعتادوا على التفكير فيه. ما كان مستمعوه يعتقدونه عن الله، من شأنه أنْ يؤثّرَ على فهمهم للحياة، ولأنفسهم، وحاجتهم الحقيقيّة. نحن بحاجة إلى معرفة صحيحة بالله. وهذا تصريح معروف لكالفن، المُصلح العظيم: "لا يمكن للإنسان أنْ يَصِلَ أبدًا إلى معرفةٍ صحيحة بنفسه إن لم يرفع عينَيْه أوّلًا نحو الله ويرى وجهَه، ثمّ ينزل ليتأمّل بنفسَه." عندها فقط سنفهم أنّنا خطاة ضالّون وهالكون في نظر الله، وأنّنا بحاجة إلى رحمته. لذلك، كان اللهُ نقطةَ انطلاق بولس.

لذلك يبدأ قانون إيمان الرسل تبدأ بالله: "أومن بالله." الله هو نقطة البداية للإيمان. يؤمن المسيحي بالله، وبالتحديد بالله الآب والله الابن والله الروح القدس. إنّه إله يتمتّع بهُويّة مُحدّدة. كان الرسل يختتمون رسائلهم بإعلان البَرَكة على الكنيسة. مثلًا، في ٢ كورنثوس ١٣: ١٤: "نعمة ربنا يسوع المسيح ومحبة الله وشركة الروح القدس مع جميعكم." كانت البَركة من الله المثلّث الأقانيم. لا يؤمن المسيحي بأيّ إله يسمّيه الناس "إلهًا." بل يؤمن المسيحي بالله المثلّث الأقانيم. لذلك، يتحدّث قانون إيمان الرسل عن الله الآب، والله الابن، والله الروح القدس. بالتالي، نشير

إلى قانون إيمان عقيدة الرسل باعتباره قانون إيمان الثالوث. وهذا متجذّر في ما كان على المرشّحين للمعموديّة أنْ يُقرّوا به قبل العمادة. كان عليهم أنْ يعترفوا بما يؤمنون به بشأن الله الآب والله الابن والله الروح القدس. بالتالي، فإنّ الله المثلّث الأقانيم يُشكّل بُنية قانون إيمان الرسل الذي يعترف بأنّ الله هو آب وابن وروح القدس.

هذا الاعتراف هو استجابة المؤمن لإعلان الله عن نفسه في الكتاب المقدّس. لقد أعلنَ الله عن نفسه في كلمتِه بأنّه موجود بأقانيمه الثلاثة: آب وابن وروح قدس. وقد أوضح يسوع هذا الأمر عندما أمر أن تكون المعموديّة "باسم الآب والابن والروحِ القدس" (متى ٢٨: ١٩).

يثير هذا الأمر تساؤلات كثيرة. كيف يمكننا التحدّث عن وجود إله واحد وفي الوقت نفسه نتحدّث عن الله المثلّث الأقانيم؟ أليس هذا الإيمان بثلاثة آلهة هرطقة، في حين أنّه يوجد إله واحد حقيقيّ؟ يرفض الإسلام عقيدة الثالوث المسيحيّة. ويزعمون أنّ الله ليس له شركاء في الجوهر. الله هو الإله الواحد الأحد، المُفرد. أمّا المسيحيّون فيؤمنون بإله مُثلّث الأقانيم: آب وابن وروح قدس. نحن لا نؤمن بثلاثة آلهة، بل نؤمن بإله واحد فقط، لا يتكوّن من ثلاثة أقانيم، بل موجود بثلاثة أقانيم. ومن الخطأ الفادح أنْ نقولَ إن المسيحيّ يؤمن بثلاثة آلهة. نحن نؤمن بإله واحد فقط موجود بثلاثة أقانيم. ونحن لا نؤمن بهذا لأنّنا نفهم الثالوث، بل لأنّ الله كشفَ عن نفسه على هذا النحو في كلمتِه.

يتبادر إلى ذهني هنا سفر تكوين ١: ٢٦: "وَقَالَ ٱللهُ: نَعْمَلُ ٱلْإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِنَا كَشَبَهِنَا." الكلمة العبريّة لله المُستخدمة هنا، هي كلمة "إلوهيم" وهي بصيغة الجمع. يتحدّث الله عن نفسه بصيغة الجمع. غالبًا ما يتحدّث الكتاب المقدّس أيضًا عن أقانيم متميّزة في الله. في المزمور ١١٠، يتحدّث الربّ إلى ربّ آخر. مكتوب: "قال الربّ لربّي: اجلس عن يميني حتّى أضعَ أعداءَك موطئًا لقدميك." عندما تعمّد يسوع، أصبح من الواضح جدًّا أنّ الله موجود في ثلاثة أقانيم. تعمّد الابن، وتحدّث الآب من السماء، ونزل الروح القدس على يسوع في شكل حمامة.

يُبيّن الكتاب المقدّس بوضوح حقيقتَيْن عن الله. الأولى هي أنّه لا يوجد سوى إله واحد: "اسمع يا إسرائيل: الربّ إلهُنا ربّ واحد" (تثنية ٦: ٤). هذه هي "اشمع" اليهود الشهيرة. والحقيقة الثانية هي أن الكتاب المقدس يعلمنا أن اللاهوت

يجب أن يكون مميزًا، لأنه موجود في ثلاثة أشخاص. تقول رسالة يوحنا الأولى ٥، الآية ٧، "لأن الذين يشهدون في السماء هم ثلاثة: الآب، والكلمة، والروح القدس، وهؤلاء الثلاثة هم واحد". وبناءً على هذا الدليل الكتابي، فإن قانون الإيمان الرسولي يؤكد على وجود إله ثلاثي. إن الإله المعترف به موجود في ثالوث. إنه إله واحد موجود في ثلاثة أشخاص. كل شخص من اللاهوت، الآب، والابن، والروح القدس، هو إله كامل، في شركة أزلية مع بعضهم البعض. اللهُ أكثرَ من مجرّد كائن أسمى. هو أكثر من مجرّدِ مصدرٍ للحياة، وأكثر من مجرّد ذكاءٍ أسمى، أو مهندسٍ عظيم. إنّه الله الحيّ والحقيقي. إنّه الآب والابن والروح القدس. ونحن لا نؤمن بهذا لأنّنا مُدركون له، بل لأنّ الله كشفَ عن نفسه في كلمتِه، بأن هذه الأقانيم الثلاثة المتميّزين هم الإله الحقيقي والأبدي الوحيد. ورغم أنّ هذه الحقيقة لا تتعارض مع عقلنا، إلّا أنها تتجاوزه بوضوح. فنحن لا نستطيع أنْ نُدركَ الله. علينا أنْ نقولَ مع داود: "عَجِيبَةٌ هَذِهِ ٱلْمَعْرِفَةُ، فَوْقِي ٱرْتَفَعَتْ، لَا أَسْتَطِيعُهَا" (مزمور ١٣٩). يُعلّمنا عُلماء اللاهوت المستقيمون والكتابيّون أنّه يوجد أمرَيْن ضروريَّيْن لفهم الثالوث الإلهي. الحقيقة الأولى هي أنّ الله، في وجوده الأزليّ، لم يكن إلهًا وحيدًا. كان قائمًا في شخص الآب والابن والروح القدس. سعادتهم القصوى هي في بعضهم البعض. وهكذا، لم يخلقِ اللهُ الإنسانَ لأنّه كان وحيدًا، بل لأنّه قَصَدَ أنْ ينقلَ مجدَه إليه. أراد أنْ يجعل البشر شركاء في سعادته. وعلى النقيض من إله الإسلام المُنغلق في عزلة صارخة، فإنّ إله الكتاب المقدّس مُثلّث الأقانيم. الدفء الناتج عن العلاقة أمر غريب على إله الإسلام. أمّا إله الكتاب المقدّس فهو إله علاقاتيّ، إذ يوجد داخل كيانِه علاقة بين ثلاثة أقانيم، وله أيضًا علاقة مع الإنسان وملائكته.

الحقيقة الثانية هي أنّ عقيدة الثالوث مرتبطة بفدائنا وخلاصنا. تتحدّث رسائل الرُسل باستمرار عن محبّة الله الآب، ونعمة ربّنا يسوع المسيح، وشركة الروح القدس. الثالوث مُرتبط بخلاصِنا. لو لم يكن الله مُثلّث الأقانيم، لما كان هناك الله الآب الذي أرسل ابنه إلى العالم. لما كان هناك الله الابن الذي أخذ طبيعة بشريّة، وقدّم كفارة عن الخطيئة على الجلجثة، نيابة عن كنيسته. لما كان الله الروح القدس الذي يسكن فينا، ويقدّسنا، ويجعلنا شركاء في الفوائد التي

استحقّها يسوع. إله خلاصنا هو الله المُثلّث الأقانيم. الثالوث مُرتبط بقصّة الفداء العظيمة. إنّها قصّة الله الآب الذي عيّن خلاصَنا؛ والله الابن الذي أتمّ خلاصنا؛ والله الروح القدس الذي يُطبّق خلاصَنا. إنّه يصور إلهًا مُثلّث الأقانيم يعمل من أجل خلاصنا. هذا الله هو الإله الذي يتمسّك به قانون إيمان الرسل من أجل خلاصنا. هذا الإله هو بداية الخلاص. الثالوث هو الحقيقة الأساسيّة للإنجيل المسيحيّ. وبالتالي، نحن نُكرم الوحدة في الثالوث، والثالوث في الوحدة.

أوّلُ أمرٍ يعترف به قانون إيمان الرسل عن الله هو أنّه أب. المسيحي يؤمن بالله الآب. الأبوة ضروريّة لوجود الله. الإله غير الشخصيّ هو إله غريب عن الكتاب المقدّس. لا يعرف الكتاب المقدّس الله الإسلام الذي يعيش في عزلة. بل يتحدّث عن الله الذي هو آب، ثمّ في المقام الأوّل، هو أب ابنه يسوع المسيح. أعلن بطرس: "تبارك الله أبو ربّنا يسوع المسيح" (١ بطرس ١: ٣). في اللاهوت، يوجد شَرِكَة بين الآب والابن. من ناحية، يمكننا أنْ نفكّر هنا في العلاقة القائمة بين أب أرضي وابنه. ومن ناحية أخرى، نحن نتحدّث هنا عن الله الأزليّ. إنّها أبوّة بلا بداية، وأبوّة مُستمرّة إلى الأبد. إنّ العلاقة البشرية بين أب وأبنائه هي ظلٌّ للعلاقة بين الله الآب والله الابن. وفي الوقت نفسه، هي تتجاوز العلاقة البشريّة. لا ينبغي لنا أنْ نفكّر في هذا الأمر من منظور الزمن، كما لو أنّه كان هناك زمنًا كان فيه الآب موجودًا وحدَه، ولم يكن الابن موجودًا بعد. لم يكن الله الآب أبدًا بدون ابنه، ولم يكن ابنُه أبدًا بدون أبيه. يقول الكتاب المقدّس عن أزليّة الابن: "اَلرَّبُّ قَنَانِي أَوَّلَ طَرِيقِهِ، مِنْ قَبْلِ أَعْمَالِهِ، مُنْذُ ٱلْقِدَمِ." (أمثال ٨: ٢٢). يُخبرُنا يوحنّا أنّ ابنَ الله، قبلَ تجسُّدِه، كان في حضنِ الآب. نقرأ في يوحنا ١: ١٨: "اَللهُ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ قَطُّ. اَلِٱبْنُ ٱلْوَحِيدُ ٱلَّذِي هُوَ فِي حِضْنِ ٱلْآبِ هُوَ خَبَّرَ." لذلك، نحن نعرف الله، لأنّ يسوع أعلَنَه لنا. يسوع هو المرآة الأكثر إشراقًا للآب. يستطيع يسوع أن يقول: "من رآني فقد رأى الآب" (يوحنا ١٤: ٩). نحن نعرفُ الله الآب من خلال يسوع المسيح، ابنِه. الابن يعرفُ الآب معرفة شاملة. قال يسوع لليهود غير المؤمنين: "أَنَا أَعْرِفُهُ لِأَنِّي مِنْهُ، وَهُوَ أَرْسَلَنِي" (يوحنا ٧: ٢٩). كان بإمكان يسوع أنْ يقول: "أنا منه، كنتُ في حضنِه، أعرفُ الله لأنّه أبي". هذه هي اللغة التي يستخدمها الكتاب المقدّس

فيما يتعلّق بالعلاقة الخاصّة بين الله الآب والله الابن، ربّنا يسوع المسيح. إنها علاقة أب وابن.

لكنَّ الله ليس فقط إلهَ وأبَ ربّنا يسوع المسيح. ففي يسوع المسيح هو أيضًا إله وأب كلّ المؤمنين الحقيقيّين. ولكنّ المؤمنين ليسوا أبناءَه بالطبيعة، كما هو حال يسوع المسيح، بل هم أبناؤه بالتبنّي. ومن أجل المسيح، تبنّاهم الله كأبناءٍ وورثة. وبنعمة الله فقط، يشتركُ المؤمنون الحقيقيّون في هذا الامتياز العظيم. فنحن بالطبيعة لسنا أبناءَ الله على الإطلاق. لقد فقدنا في جنّة عدن امتياز البنوّة بسبب خطيئة آدم وحواء. والآن، يشير إلينا الكتاب المقدّس كأبناء الغضب: "كنا بالطبيعة أبناء الغضب كالباقين" (أفسس ٢: ٣).

نحن أيضًا لم يَبقَ لدينا طبيعةَ وقلب أبناء الله. لقد تلوّثت طبيعتُنا بالخطيئة وأفسدتْها. يجب أن نولد من جديد وننال طبيعة جديدة، حتّى نصبحَ أبناءَ الله الحيّ. نحن بحاجة إلى قلب جديد وروح جديدو في داخلنا. نحن لسنا بحاجة فقط أن نُدعى أولاد، بل أن يكون لنا قلب طفل. بطبيعتنا، عنما نولد، لا يكون لدينا قلب أولاد الله. نحن لا نحبُّ اللهَ ولا نرغبُ في طاعته.

لا يحقُّ لنا نحن أيضًا أن نقول عن أنفسنا إنّنا أولاد الله. لقد فقدنا هذا الامتياز بسبب الخطيئة. لقد طُرِدنا من جنّة الله، بل طُرِدنا من حضرته. تقف الخطيئة كجبل بين الله والخطاة الساقطين. إنّها تجعلنا أبناءَ الغضب. ولكن في المسيح، يُعاد الخطاة إلى بركة أن يُدعَوا أولادَ الله. يكتب الرسول يوحنا: "اُنْظُرُوا أَيَّةَ مَحَبَّةٍ أَعْطَانَا ٱلْآبُ حَتَّى نُدْعَى أَوْلَادَ ٱللهِ" (١ يوحنا ٣: ١).

يُعلّمنا مَثَلُ الابن الضال عن هذه المحبّة الأبويّة من الله نحو الخاطئ الذي اتّكل عليه. لم يمنحِ الأبُ الغفران لابنه العائد التائب فحسب، بل أعاده أيضًا كابن له، بكلّ الحقوق والامتيازات المصاحبة لذلك. لقد ألبسَه أفضلَ ثوب ووضع خاتم البنوّة في اصبعه. لقد كان هذا عَرضًا خارقًا للنعمة.

بالإيمان بيسوع المسيح، يُتبنّى المؤمن قانونيًّا كابن لله ووارثٍ له، كما هو مكتوب في يوحنّا ١: ١٢: "وَأَمَّا كُلُّ ٱلَّذِينَ قَبِلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ سُلْطَانًا أَنْ يَصِيرُوا أَوْلَادَ ٱللهِ، أَيِ ٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱسْمِهِ." ومن خلال عمل تجديد الروح القدس، يستقبل

الخاطئ قلبَ طفل من جديد، حتّى يبدأ الإنسان يحبُّ الله ويخدُمُه. بإمكاننا أنْ نقولَ إنّ الإيمانَ بيسوع المسيح يُعيد للخاطئ الحقّ في أنّ يكون ابنًا لله. إنّ تجديد الروح القدس يمنح الخاطئ طبيعةَ وقلبِ طفل. يا له من امتياز عظيم! يصبح الخطاة أبناءَ الله، من خلال تبنّيهم من أجل المسيح. لا انحدارنا من نسل إبراهيم، ولا عضويّتنا في الكنيسة المسيحيّة سيجعلاننا أبناء الله، بل فقط عمل تجديد الروح القدس، والإيمان بالربّ يسوع المصلوب والمُقام من الأموات. وعن هؤلاء الناس يكتب بولس: "لِأَنَّكُمْ جَمِيعًا أَبْنَاءُ ٱللهِ بِٱلْإِيمَانِ بِٱلْمَسِيحِ يَسُوعَ" (غلاطية ٣: ٢٦).

وهكذا، فإنّ أبوّة الله ليست لابنه يسوع المسيح فحسب، بل هو أيضًا أبُ كلّ المؤمنين الحقيقيّين. وهو يعتني بهم بحنان أبويّ. "كَمَا يَتَرَأَفُ ٱلْأَبُ عَلَى ٱلْبَنِينَ يَتَرَأَفُ ٱلرَّبُّ عَلَى خَائِفِيهِ" (مزمور ١٠٣: ١٣). هو سيجعل كلّ الأشياء تعمل معًا للخير. ليقلْ شعبُ الله مع آساف: "بِرَأْيِكَ تَهْدِينِي، وَبَعْدُ إِلَى مَجْدٍ تَأْخُذُنِي" (مزمور ٧٣: ٢٤). يا لها من تعزية في الحياة والموت أنّ نعرفَ أنّ السماء والأرض العظيم يدعونا أبناءَه وورثته، وأنْ نكون قادرين أن نصرخ: "يا أبا الآب" (رومية ٨: ١٥).

يشير قانون إيمان الرسل إلى الله الآب القادر على كل شيء، خالق السماء والأرض. الله كليّ القدرة. قال الربّ لإبراهيم: "أنا الله القدير" (تكوين ١٧: ١). الله ليس فقط قديرًا، بل هو كليّ القدرة. هذا الإله الكليّ القدرة، يُدعى خالق السماء والأرض. يربط قانون إيمان الرسل بين قدرة الله المطلقة وخلق السماء والأرض. يُظهرُ خلق السماء والأرض أنّ الله قادر على كل شيء. لقد خلق كلّ ما هو موجود من العدم. يا له من عرضٍ للقدرة!

لنتأمل أيضًا السهولة التي خلق الله بها الكون. فهو لم يستخدم أيّ أدوات أو آلات. كلّ ما كان عليه أن يفعل هو أنْ يتكلّم، فكان: "لِأَنَّهُ قَالَ فَكَانَ. هُوَ أَمَرَ فَصَارَ" (مزمور ٣٣: ٩). ويقول الكتاب المقدّس عن الله إنّه يبسط السماوات؛ ويكيل المياه في كفّه؛ ويقيس السماوات بالشبر، ويزن الجبال بالقبّان (مزمور ١٠٤: ٢ وإشعياء ٤٠: ١٢). وكلّ هذه أدلّة أكيدة وواضحة على قدرة إلهنا المُطلقة. فالخلق هو عرضٌ مُذهل لقدرة الله المطلقة!

يُحدّد الكتاب المقدّس الله كخالقِ السماء والأرض. والكلمات الأولى في الكتاب المقدّس هي: "في البدءِ خلقَ اللهُ

السموات والأرض" (تكوين ١: ١). الله هو أصل كلّ الأشياء. في النهاية، لا يوجد سوى إجابة واحدة على السؤال: "من أين جاء كلّ شيء؟" الإجابة هي: الله! يقول الكتاب المقدّس: "في البدء... الله." للسماء والأرض بداية. يوجد واحد فقط ليس له بداية، وهو الله. قال موسى عن الله: "مِنْ قَبْلِ أَنْ تُولَدَ ٱلْجِبَالُ، أَوْ أَبْدَأْتَ ٱلْأَرْضَ وَٱلْمَسْكُونَةَ، مُنْذُ ٱلْأَزَلِ إِلَى ٱلْأَبَدِ أَنْتَ ٱللهُ." (مزمور ٩٠: ٢). هذا الإله الأزليّ القادر على كلّ شيء هو خالق السماء والأرض، والبشر والملائكة، وكلّ ما هو حي وموجود. "فَإِنَّهُ فِيهِ خُلِقَ ٱلْكُلُّ: مَا فِي ٱلسَّمَاوَاتِ وَمَا عَلَى ٱلْأَرْضِ، مَا يُرَى وَمَا لَا يُرَى، سَوَاءٌ كَانَ عُرُوشًا أَمْ سِيَادَاتٍ أَمْ رِيَاسَاتٍ أَمْ سَلَاطِينَ. ٱلْكُلُّ بِهِ وَلَهُ قَدْ خُلِقَ" (كولوسي ١: ١٦). حاول البشر عبر العصور تفسير وجود الخلق بمعزل عن أيّ إشارة إلى خالق. ومع ذلك، بمعزل عن الخالق، لا يمكن تفسير وجود البشر والحيوانات والنباتات والأشجار والكون المذهل الذي لا يمكن قياسه. لذلك نعترف بأنّنا نؤمن بـ "الله الآب الضابط الكلّ، خالق السماء والأرض." الخلق يتطلّب خالقًا.

عندما يرفض البشر الاعتراف بالله كخالق، سيحاولون صياغة أسباب بديلة لتفسير وجود السماء والأرض، والكائنات الحيّة، والنباتات والحيوانات. طوّر علماء الفيزياء مجموعةً متنوّعة من النظريّات لتفسير وجود السماء والأرض بمعزل عن خالق. وأشهرها نظريّة الارتقاء والتطوّر لتشارلز داروين. ويتلخّص جوهر هذه النظرية في الآتي: يعود أصل جميع الكائنات الحيّة إلى كائن حيّ واحد مُشترك؛ ومن خلال الانتقاء الطبيعي، أنتجَ هذا الكائن الحيّ جميع أشكال الحياة المختلفة. وبِحَسَب هذه النظريّة، تتطلّب هذه العمليّة قَدَرًا كبيرًا من الوقت، حتّى مليارات السنين. وتقول هذه النظريّة إنّ الإنسان تحدّر من القردة. وتفترض نظريّة أخرى أنّه كان هناك انفجار كبير، أو انفجار أوّليّ، انفجار هائل للكتلة الأصليّة للكون، وهو الذي شكّل ولادة الكون، وأنّ جميع أشكال الحياة نشأت من هذا الانفجار الكبير. هذه النظريّات تُنكرُ وجود الله كخالق. وتتّفق هذه المفاهيم مع الإلحاد. كلمة "إلحاد" تعني "بدون الله." والمُلحد هو شخص لا يؤمن بأيّ شيء. لا يؤمن بالإله الواحد الحقيقي، ولا بآلهة أخرى. بالنسبة إليه، لا توجد إلّا هذه الحياة المحسوسة. وتُنكر نظريّتي الارتقاء والتطور والانفجار العظيم وجودَ الله كخالق لكلّ الأشياء. وقد أثّرت مثل هذه

النظريّات على كثيرين، وخاصّة الشباب، ممّا جعلهم يبتعدون عن الله والكتاب المقدّس.

ولكن هذه النظريّات ليست مثيرة للإعجاب كما تبدو. إنّها تستند إلى العديد من الافتراضات والمسلّمات. ويواجه أنصار نظريّتي الارتقاء والتطوّر والانفجار العظيم مشاكل هائلة. تثير نظريّاتهم العديد من الأسئلة. أوّلًا، يتطلّب الخلق خالقًا، لأنّ الكون لا يُمكن أنْ يَخلِقَ نفسَه. فكيف يمكن لشيء أنْ ينشأ من العدم؟ وإن كان كلّ شيء ينشأ من "حساء" أوّليّ، فما هو أصل هذا "الحساء الأوّليّ؟" وإن كان الكون قد نشأ بانفجار عظيم، فما هو أصل الكتلة الأصليّة التي انفجرت؟ إنّ نظريّتَي الانفجار العظيم والارتقاء والتطوّر غير منطقيّتَيْن. كيف يمكن لشيء أنْ يأتي من العدم؟ كيف يمكن لكلّ شيء نراه من حولنا أنْ ينشأ من العدم؟ هذه الأسئلة حقيقيّة ومنطقيّة. يجب أنْ تُدعى الأشياء إلى الوجود: وهذا يتطلّب خالقًا يخلق كلّ شيء من العدم.

ثانيًا، الخلقُ نفسُه يعلن وجود خالق. يقول إقرار الإيمان البلجيكي إنّ الخلق يُشبه كتابًا فائق الروعة، يُمكن للجميع أن يقرأوا فيه أنّه لا بدّ من وجود خالق. يقول إقرار الإيمان: الكون... أمام أعيننا ككتاب فائق الروعة، فيه تُشبه جميع المخلوقات، الكبيرة منها والصغيرة، أحرفًا كثيرة تقتادنا إلى التأمّل في أمور الله غير المنظورة، أي قدرتَه السرمديّة ولاهوتَه" (البند ٢).

إنّ وجودَ الكواكب في الكون الذي لا يُقاس هو في حدّ ذاته دليل على وجود خالق قدير وحكيم وذكيّ. فكلّ شيء يدلّ على ذكاء عظيم. لنتأمّل في الأرض فقط. تتطلّب الحياة على الأرض جوًّا ودرجة حرارة معيّنة: لا باردة جدًّا ولا ساخنة جدًّا. فلو كانت الأرض أقرب إلى الشمس، لاحترقَ كلّ شيء. ولو كانت الأرض أبعد عن الشمس، لتجمّد كلّ شيء. ولو كانت دورة الأرض حول الشمس أبطأ أو أسرع، لما كان هناك دورة ليل ونهار. وفوق هذا، عندما نفكّر في الجاذبيّة والضوء والخصوبة، وأشياء أخرى كثيرة، يجب أن نقول: "مَا أَعْظَمَ أَعْمَالَكَ يَارَبُّ! كُلَّهَا بِحِكْمَةٍ صَنَعْتَ. مَلْآنَةٌ ٱلْأَرْضُ مِنْ غِنَاكَ" (المزمور ١٠٤: ٢٤).

هل وُجِدَ كلّ هذا بالصدفة وكان أصلُه إمّا "حساء أوّلي" أو انفجار للكون؟ مثل هذه الفكرة غير منطقيّة. فالإيمان

بمثل هذه النظريّات ليس مَظهرًا من مظاهر الحكمة. الإيمان بخالق هو أمر منطقيّ. بالتالي، إنّ الإيمان بنظريّات علماء الفيزياء يتطلّب إيمانًا أعظم من الإيمان بالكتاب المقدّس الذي يُعلن: "في البدء خلقَ الله السماوات والأرض" (تكوين ١: ١).

الخليقة كلُّها تؤكّد ما يعلّمنا إيّاه الكتاب المقدّس في سفر التكوين، أي أنّ الأرضَ خُلقت لتكون موطِنًا سعيدًا للبشر. وعندما نتأمّل الزهور والحيوانات، وخاصّة عندما نتأمّل في أنفسِنا، ألا يهتف كلُّ شيء مع بولس في كولوسي ١: "فَإِنَّهُ فِيهِ خُلِقَ ٱلْكُلُّ: مَا في ٱلسَّمَاوَاتِ وَمَا عَلَى ٱلْأَرْضِ، مَا يُرَى وَمَا لَا يُرَى، سَوَاءٌ كَانَ عُرُوشًا أَمْ سِيَادَاتٍ أَمْ رِيَاسَاتٍ أَمْ سَلَاطِينَ. ٱلْكُلُّ بِهِ وَلَهُ قَدْ خُلِقَ. ٱلَّذِي هُوَ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ، وَفِيهِ يَقُومُ ٱلْكُلُّ."

وكما أن الساعة تحتاج إلى صانع ساعات، كذلك يحتاج الخلق إلى خالق. لا يمكن أن يكون الخلق نتيجة صدفة، ولا يمكن يأتي إلى الوجود بشكلٍ عفويّ. كلّ شيء يشير إلى الله خالقنا. لماذا نستطيع أنْ نجدَ شيئًا إمّا جميلًا وجيّدًا، أو قبيحًا وشرّيرًا؟ ما هو أصل الأخلاق؟ من الذي حَدّد ما هو الخير وما هو الشرّ؟ نلاحظ شروقَ الشمس وغروبَها. ونلاحظ تغيّرَ الفصول، وبعد كلّ شتاء، نلاحظ عودةَ الصيف. ونرى الجمال في الزهور، وعظمة المحيط الهائج. ونلاحظ إنبات البذور والأشجار وهي تحمل الثمار. ونلاحظ ولادة الأطفال، وظهور الحبّ والرعاية. ونلاحظ الولادة والموت. وكلّ هذه الأدلة تصرخ: أنا هنا، أنا خالقك وصانعك! انظر بعينَيْك، والمس بيدَيْك، واسمع صوتَ خالقك. أعلن الربّ: "أَنَا صَنَعْتُ ٱلْأَرْضَ وَخَلَقْتُ ٱلْإِنْسَانَ عَلَيْهَا" (إشعياء ٤٥: ١٢).

العالمُ لا يجهلُ وجودَ الله الذي خلقَ كلّ الأشياء. فمن يُغمِضُ عينَيْه عن وجوده، يفعل ذلك عمدًا. ومن يصمّ أذنَيه يفعل ذلك عمدًا أيضًا. ولكنّ الله يكشِفُ عن نفسه في الخليقة كخالقنا وحافظِنا وملكِنا الذي يستحقّ أنْ نخدُمَه ونُكرمَه ونطيعَه ونحبَّه. نقرأ في رومية ١: ٢٠: "لِأَنَّ أُمُورَهُ غَيْرَ ٱلْمَنْظُورَةِ تُرَى مُنْذُ خَلْقِ ٱلْعَالَمِ مُدْرَكَةً بِٱلْمَصْنُوعَاتِ، قُدْرَتَهُ ٱلسَّرْمَدِيَّةَ وَلَاهُوتَهُ، حَتَّى إِنَّهُمْ بِلَا عُذْرٍ." لا يستطيع الإنسان أنْ يهربَ من إعلان الله عن ذاته في عالم الطبيعة. ولا يستطيع أيضًا أنْ يهربَ من نفسه ويتجاهل معرفتَه الفطريّة بالله. يوجد من هو أعظم منه بكثير، وأسمى منه وأبعدَ

منه. الله موجود! كتاب الطبيعة، أي الخلق، يُخبرُ بذلك.

ولكن المسيحي لا يقرأ كتاب الطبيعة فحسب، بل يقرأ أيضًا الكتاب المقدّس، وهو أوضحُ إعلانٍ لله عن ذاته.

وبالتالي، عندما ينظر المسيحي إلى الخلق من خلال عدسات الكتاب المقدس، يعترف قائلًا: "أؤمن بالله الآب الضابط، خالق السماء والأرض."